مجلة دراسات دوليّة

اسم المقال: التنافس الإقليمي والدولي في منطقة اسيا الوسطى الإسلامية (ايران وتركيا انموذجاً)
اسم الكاتب: م.م. علي محمد حسين
رابط ثابت: https://political-encyclopedia.org/library/6828
تاريخ الاسترداد: 2025/05/04 04:10 +03

الموسوعة السياسيّة هي مبادرة أكاديمية غير هادفة للربح، تساعد الباحثين والطلاب على الوصول واستخدام وبناء مجموعات أوسع من المحتوى العلمي العربي في مجال علم السياسة واستخدامها في الأرشيف الرقمي الموثوق به لإغناء المحتوى العربي على الإنترنت.
لمزيد من المعلومات حول الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political، يرجى التواصل على info@political-encyclopedia.org

استخدامكم لأرشيف مكتبة الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political يعني موافقتك على شروط وأحكام الاستخدام المتاحة على الموقع https://political-encyclopedia.org/terms-of-use

تم الحصول على هذا المقال من موقع مجلة دراسات دوليّة جامعة بغداد ورفده في مكتبة الموسوعة السياسيّة مستوفياً شروط حقوق الملكية الفكريّة ومتطلبات رخصة المشاع الإبداعي التي ينضوي المقال تحتها.

التنافس الاقليمي والدولي في منطقة آسيا الوسطى الاسلامية
(ايران وتركيا انموذجا)

المدرس المساعد
علي محمد حسين(*)

المقدمة:

تشكل الميزة الجيوستراتيجية/الامنية، والاهمية الاقتصادية لمنطقة اسيا الوسطى، احد اهم بواعث التنافس الدولي والاقليمي عليها. والذي يشمل قوى عالمية ذات تأثير فاعل ومهمين في النظام السياسي الدولي كالولايات المتحدة الامريكية، وقوى اخرى صاعدة تسعى الى دور عالمي واقليمي متميز كروسيا الاتحادية والصين، ناهيك عن مجموعة من القوى الاقليمية الفاعلة دخلت ميدان التنافس يأتي في مقدمتها: ايران، تركيا، اسرائيل، الهند، وباكستان.

وعلى اختلاف مصالحها واهدافها، فأن جميع هذه القوى تسعى بشكل او بآخر الحصول على نفوذ في منطقة اسيا الوسطى للتحكم بمستقبلها السياسي ونمط علاقاتها الدولية، وتتطلع بالتالي الى الاستفادة من ميزاتها واستغلال مواردها الاقتصادية الكامنة في اراضيها، ولاسيما النفط والغاز الطبيعي.

ففي ظل الحقبة القيصرية، وكذلك الحقبة السوفياتية، لم تكن منطقة اسيا الوسطى محل تنافس اقليمي او دولي، على اساس انها كانت تشكل جزءاً من الامبراطورية الروسية في الحالة الاولى، وتحت ظل هيمنة الدولة السوفياتية في الحالة الثانية، غير ان انهيار الاخيرة وتفككها مطلع عقد التسعينات من القرن الماضي ترك فراغاً استراتجياً جزئياً او كلياً في تلك المنطقة، الامر الذي اظهر تنافساً اقليمياً ودولياً حيالها، فضلاً عن ان جمهورياتها المستقلة الفتية وهي (كازخستان، اوزبسكتان، طاجسكتان، وقرقيزيا، واذربيجان) لم تكن مهيئة للاستقلال، ولم تكن تمتلك بنى تحتية وهياكل وخبرات تمكنها من النهوض بدور الدولة الحديثة، مما جعها عرضة لتجاذب القوى التي تسعى الى احتوائها او النفوذ فيها للاستفادة من ميزتها الجيوستراتيجية واستغلال مواردها الاقتصادية. من هنا تتبدى العلاقة بين اهمية المنطقة وطبيعة التنافس الاقليمي والدولي حيالها في اطار ما يسمى بـ(المباراة الكبرى الجديدة) تمييزاً لها عن المباراة الكبرى التي دارت بين كل من بريطانيا وروسيا مطلع القرن التاسع عشر حول اسيا الوسطى.

واذا ما تناولنا صور واشكال التنافس على النفوذ في جمهوريات اسيا الوسطى الاسلامية من

(*) مدرس في مركز الدراسات الدولية-جامعة بغداد.

جوارها القرب فباستثناء روسيا الاتحادية-فان التنافس الايراني-التركي على المنطقة يأتي في المقام الاول، الامر الذي يدعو الباحث الى اختياره انموذجاً للتنافس الاقليمي على المنطقة.

لذلك فان دراسة اهمية المنطقة وواقع التنافس الايراني-التركي وعلاقته بالقوى المتنافسة الاخرى (الاقليمية والدولية) فيها، ودوافع ومحددات الدور الذي تتطلع اليه كل من ايران وتركيا، يستدعي اعتماد هيكلية تنطوي على ثلاثة مباحث:

يتناول الاول-التعريف بالمنطقة واهميتها الجيوسياسية والاقتصادية، ويكرس الثاني-لدراسة واقع التنافس الاقليمي والدولي على المنطقة، في حين ينصرف المبحث الثالث الى التنافس الايراني-التركي، ودوافع ومحددات الدور الذي تتطلع اليه كل من الدولتين في المنطقة فضلاً عن المقدمة والخاتمة.

المبحث الأول/التعريف بـ(منطقة آسيا الوسطى)وأهميتها الجيوسياسية والاقتصادية

١. إطلالة تأريخية/جغرافية

آسيا الوسطى -فضاء شاسع يحتل قلب آسيا،مكونا وحدة أقليمية لاتفصلها فواصل جغرافية[1] وتعرف تأريخيا بـ(تركستان الغربية) تمييزا لها عن (تركستان الشرقية) التي إحتلتها الصين أوائل ثمانينات القرن التاسع عشر وتضم آسيا الوسطى مجموعة من الشعوب التركية والمغولية.. فهناك الكازاخ والقرقيز والتركمان والأوزبك.. ومجموعات أخرى[2] وتقع ضمن حدودهاعدة مدن كانت تعد سابقا مراكز مهمة للحضارة العربية الاسلامية بعد الفتح الاسلامي-من بينها (بخارى، سمرقند، خوارزم)، كما فيها دول وامارات اسلامية حينذاك أهمها: دولة الأوزبك التي نشأت أواخر القرن الخامس عشر .. وفي مطلع القرن الثامن عشر شكل الكازاخ تجمعات عشائرية عاشت حروب قبلية، الأمر الذي أتاح الفرصة لتدخل روسيا القيصريةوكان ذلك متزامنا مع عملية التوسع في المنطقة التي بدأتها الثانية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وبالتحديد في الفترة الواقعة ما بين (١٨٦٤-

[1] للمزيد من التفاصيل، راجع د. محمد السيد سليم، التحولات العالمية والتنافس الدولي على اسيا الوسطى، مركز الدراسات الاسيوية، القاهرة، ١٩٩٨، ص ص ٣١٤-٢١٥.

[2] انظر بهذا الصدد، د. احمد نوري النعيمي، الصراع الدولي على الجمهوريات الاسلامية في اسيا الوسطى (الانموذج التركي) دراسات دولية، ٢٠٠٣، ص١.

١٨٨٤) في آسيا الوسطى ،انتهت بالحاق المنطقة برمتها بروسيا القيصرية .. وبعد احتلال طشقند أوائل القرن العشرين[3] بعد قيام الثورة البلشفية في اكتوبر ١٩١٧ورثت دولة الأتحاد السوفياتي –ميراث روسيا القيصرية–حين انضمت آسيا الوسطى في التركيبة الأتحادية للدولة السوفياتية اذ قسمت الى جمهوريات تعتمد لهجاتها المحلية كلغات وطنية في ظل دولة الاتحاد السوفياتي[4] وهكذا استمر الوضع حتى عام ١٩٩١في أعقاب انهيار وتفكك الأتحاد السوفياتي مخلفا وراءه اضافة الى روسيا الأتحادية خمس عشرة دولة مستقلة ،من بينها الجمهوريات الخمسة الاسلامية في آسيا الوسطى –موضوع بحثنا–وهي ((كازخستان، طاجكستان، تركمانستان، أوزبكستان، وقرقيزستان)).

٢.الوضع الديموغرافي

تتسم جمهوريات آسيا الوسطى الاسلامية ،بخصائص ثقافية وحضاريةوجغرافية تميزها عن باقي دول آسيا..ويمكن اضافة جمهورية اذربيجان القوقازية الى هذه المجموعة لأنها تشترك معها بذات الخصائص.. غير أنها خارج مجالها الجغرافي[5] ومن الناحية الديموغرافية :فأن غالبية سكان جمهوريات آسيا الوسطى من المسلمين وينتمون الى ثلاث مجموعات عرقية[6]:

أ. مجموعة الشعوب التركستانية:–يشكل المسلمون فيها ٨٥% وتضم معظم سكان أوزبكستان وكازخستان، تركمانستان وقرقيزيا –وكلهم يتكلمون بـ(لهجات)قريبة من التركية وهم أقرب ثقافيا وحضاريا الى تركيا.

ب. مجموعة الشعوب الايرانية: يشكل المسلمون فيها أكثر من ٨% يتركزون في طاجكستان وهم أقرب ثقافيا وحضاريا الى ايران.

ج. مجموعة الشعوب الابروقوقازية: يشكل المسلمون فيهاأكثر من ٦% وهم يعيشون في مجموعات متفرقة في روسيا والقوقاز.

---

[3] نقلاً عن د. حميد شهاب احمد، التنافس الدولي في منطقة الجمهوريات الاسلامية في اسيا الوسطى، دراسات دولية، مركز الدراسات الدولية، جامعة بغداد، العدد٢٨، ٢٠٠٥، ص ص ٥-٦.

[4] نفس المصدر، ص٦.

[5] للمزيد من التفصايل انظر، طالب حسين حافظ، سياسة روسيا الخارجية تجاه الجمهورايت الالامية في اسيا الوسطى، رسالة ماجستير غير منشورة، مقدمة الى كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، حيزران، ٢٠٠٥، ص١٣، ص١٦.

[6] د. عبد الرحمن رشيد، مستقبل العلاقات بين الاتحاد الروسي وجمهورايت اسيا الوسطى، مجلة الدفاع المصرية، القاهرة،، العدد١٠٤، اذار ١٩٩٥، ص٣٥، نقصلاً عن نفس المصدر.

يتكلم أبناء الشعوب التركستانية لغات متقاربة الى حد كبير وينتمي معظمهم الى (المذهب السني الحنفي) اما مجموعة الشعوب الايرانية فينتمون الى (المذهب الشيعي الاثني العشري الجعفري)[7].

وفضلا عن المسلمين، هناك نسبة عالية من سكان المنطقة من (المسيحيين الأرثدوكس) تصل نسبتهم في كازاخستان الى ٤٨%من مجموع سكان الجمهورية -وهم من اصول روسية واوكرانية وارمنية والمانية..والى جانب ذلك اقلية يهودية في كل من-اوزبكستان وطاجكستان وتركمانستان[8] ان هذا التداخل بين الأقليات داخل جمهوريات آسيا الوسطى الاسلامية قد دفع بأتجاه اثارة العديد من المشاكل التي تعود الى رغبة كل أقلية بالاستقلال والالتحاق بدولة اخرى تشكل فيها اغلبية سكانية - مثال ذلك-النزاع الأوزبكي- القرقيزي حول ولاية (اوش) ذات الأغلبية الأوزبكية داخل قرقيزيا والنزاع الأوزبكي-الطاجيكي حول مدينة (بخارى وسمرقند) ذات الأغلبية الطاجيكية[9].

كما ان الأقليات الروسية في جمهوريات آسيا الوسطى ،تشغل موقعا سياسيا واقتصاديا واجتماعيا متميزا بالنسبة للسكان الأصليين -على أساس ان هذه الأقليات كانت تمثل المركز (موسكو)..وان الغرض من بقائها وتشجيعها على التوطن والعمل كان لأجل تعزيز النفوذ الروسي[10] اذ يبلغ عدد الروس الذين لايزالون يعيشون داخل جمهوريات آسيا الوسطى حوالي عشرة ملايين،تحتفظ بهم روسيا الاتحادية كواحدة من اهم الأوراق في سعيها للتمسك بدورها في المنطقة..وان كانت قد استسلمت لخسارتها جغرافيا..ولعلاقات القوة السياسية التي ربطتها بها، بحلول عام ١٩٩١ -غير انها- لاتزال مصرة على الأستحواذ عليها ستراتيجيا[11].

كما ان الهجرات المتتالية من شرق آسيا الى غربها ووسطها،وعبر حقب تاريخية مختلفة،قد خلقت مزيجاً من المجموعات العرقية المتباينة في التكوين التأريخي واللغوي والأجتماعي،استقر قسم منها في آسيا الوسطى-مما نتج عنه مجتمعات ذات تركيبة في غاية التعقيد،كانت له آثاره السلبية على الوضع

---

[7] د. حميد شهاب احمد، مصدر سبق ذكره، ص٧.

[8] يشكل اليهود حسب احصاء عام ١٩٩٤ نحو ١٠٠ الف في اوزبكستان ونحو ٢٠ الف في كل من طاجكستان وتركماتسان، انظر د. حميد شهاب احمد، مصدر سبق ذكره، ص٧.

[9] انظر ناهض الجبوري، التنافس التركي-الايراني في الجمهوريات الاسلامية المستقلة رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة الى كلية العلوم السياسيةجامعة بغداد، ١٩٩٧، ص٨٠.

[10] انظر د. عبد السلام بغدادي، الاقليات الروسية في جمهوريات اسيا الوسطى الاسلامية، مجلة الدراسات الدولية، العدد٢، ص١١؛ وكذلك د. احمد نوري النعيمي، الصراع ادولي على الجمهوريات الاسلامية، مصدر سبق ذكره، ص١، ص١٠.

[11] د. ابراهيم عرفات، اسيا الوسطى.. التنافس الدولي في منطقة مغلقة، السياسة الدوليةن العدد١٦٧، يناير ٢٠٠٧، ص١٢٤.

السياسي والأجتماعي في خلق حالة من عدم الاستقرار الداخلي،بسبب المشاكل الناتجة عن التداخل الأثني والعرقي[12] هذا فضلا عن موجة التطرف التي طالت بعض الجمهوريات في السنوات الأخيرة.

٣.الأهمية الجيوستراتيجية والاقتصادية

آسيا الوسطى (منطقة مغلقة جغرافيا)لاتطل على اي بحر او محيط متصل-ماعدا (بحر الأورال) في الشمال و(بحر قزوين)في الجنوب-وهي بحيرات مغلقة ليس لها اطلالة على العالم الخارجي-اذ سبب ذلك مشكلات كبيرة لجمهوريات آسيا الوسطى في مجال تسويق منتجاتها من النفط والغاز الطبيعي-غير ان ما يميزها،هي تلك المسالك البرية المارة في جنوبها والتي تربط شرق القارة الآسيوية بغربها باتجاه اوربا..وهو مايعرف تاريخيا بـ(طريق الحرير)ومسلك بري آخر يربط شمال القارة بوسطها وهو مايعرف بـ(طريق الفراء)[13]كما انها محاطة بقوى دولية واقليمية تتباين نظمها السياسية وطموحاتها وسعيها الى النفوذ في جمهورياتها الفتية-المستقلة حديثا.

وتأتي اهميتها الجيوستراتيجية من انها تربط القارة الأسيوية بالقارة الأوربية وتوصل الشرق الأوسط بالخليج العربي عبر تركيا،ومطوقة من الشرق بقوى كبرى صاعدة كالصين التي تشكل مع روسيا الاتحادية ذات الصفة الدولية في ميزان القوى العالمي..اذ تتاخم الأخيرة المنطقة من جوارها القريب شمالا وهي وريثة الاتحاد السوفياتي السابق وتسعى الى احتوائها او الابقاء على نفوذها القوي فيها لأهميتها الأستراتيجية /الأمنية والاقتصادية[14] والى شرقها تأتي الصين الشعبية التي تشكل مع روسيا الاتحادية محورا دوليا واقليميا بالغ التأثير في سياسة المنطقة ومستقبل علاقاتها الدولية وفي جوارها القريب جنوبا تأتي ايران ذات النظام الإسلامي الأصولي-وتركيا العلمانية،وافغانستان الغارقة في العنف- -وعلى مقربة من منطقة الخليج العربي البالغة الاهمية في الأستراتيجية العالمية والى جوارها الأبعد نسبيا حيث الهند وباكستان، هذا فضلا عن قوى دولية واخرى اقليمية في الحلقات الأبعد عن

---

[12] د. سيار الجميل، الجغرافية السياسية لجمهورايت اسيا الوسطى وقنقاسيا، مركز الدراسات التركية، جامعة الموصل، ١٩٣، ص١٩.

[13] تطلق على اسيا الوسطى تسميات عديدة-فقد سمتها المصادر العربية القديمة(بلاد خوارزم وبلاد ما وراء النهر) ويسميها بعض المستشرقين (اسيا الداخلية)، اما الاتارك فقد اطلقوا عليها قديماً (توران) او (ارض الترك) وتدعى ايضاً (تركستان)، انظر نفس المصدر، ص١٦.

[14] لمزيد من المعلومات حول الوضع الجيوستراتيجي لمنطقة اسيا الوسطى، راجع على سبيل المثال:

- د. محمد سعيد ابو عامود، تحولات اسلياسة الامريكية تجاه ايران وتركيا وروسيا، السياسة الدولية، العدد ١٤٧، يناير ٢٠٠٢، ص٧٨.
- طالب حسين حافظ، مصدر سبق ذكره، ص ص ٢٦-٣١.
- د. قحطان الحمداني، الخليج العربي والجمهورايت الاسلامية، مجلة دراسات دولية، جامعة بغداد، العدد٢، اذار ١٩٩٣، ص٤٠.
- د. ابراهيم عرفات، اسيا الوسطى.. التنافس الدولي، مصدر سبق ذكره، ص ص ١٢٤-١٢٧.

آسيا الوسطى،غير انها تعد لاعبا اساسيا في سياسات المنطقة وفي تقرير مستقبلها السياسي والاقتصادي والأمني-ولاسيما- الولايات المتحدة الأمريكية واسرائيل،وبعض دول الاتحاد الأوربي كفرنسا والمانيا- والى حد ما-الوطن العربي ممثلا بكل من السعودية ومصر(من خلال توظيف الأسلام والعلاقات التاريخية مع شعوب المنطقة)فضلا عن استخدام وسيلة المساعدات الاقتصادية والقروض المالية من قبل المملكة العربية السعودية في ميدان التنافس مع اسرائيل على النفوذ في آسيا الوسطى[15].

وتأتي اهميتها الاقتصادية من انها تمثل اسواق هائلة بالنسبة الى دول الأقليم واكثر من ذلك انها تمتلك ثروات مؤكدة من النفط والغاز الطبيعي-تم اكتشاف-احتياطياته الضخمة من قبل الشركات الغربية التي تهاوت على المنطقة بعيد استقلالها عن الاتحاد السوفياتي..

اضافة الى امتلاكها معادن ثمينة-ولاسيما- اليورانيوم،فضلا عن مساحات شاسعة من المراعي والاراضي الزراعية الخصبة-فعلى سبيل المثال، ان الأراضي المزروعة في جمهورية كازاخستان كانت تشكل ٢٠% من الأراضي المزروعة في الأتحاد السوفياتي السابق،كما ان هذه الجمهورية كانت تمتلك ٦٠%من مصادر الاتحاد السوفياتي المعدنية من حديد وفحم ومعادن متنوعة تستخدم في الطاقة النووية وصناعة الصواريخ-اما جمهورية اوزبكستان فأنها تعد ثالث اكبر منتج للقطن في العالم،بينما تمتلك تركمانستان احتياطيا ضخما من الغاز الطبيعي تحتل به المركز الرابع في العالم بعد روسيا والولايات المتحدة الأمريكية وايران[16].

وانها الأكثر اهمية من الناحية الجيوستراتيجية بالنسبة لروسيا، اذ يكفي ان نتذكر ان السيطرة الروسية عليها كانت عاملا اساسيا في اعطاء روسيا القدرة في السيطرة على نصف القارة الأوربية، وعلى مد نفوذها الى اجزاء عديدة من مناطق الشرق الأوسط وشرق آسيا.

وتأتي اهمية اسيا الوسطى في ستراتيجيات القوى العالمية من قربها لمنطقة الخليج العربي ،وان كلاهما تحتفظان بأكبر مخزون ستراتيجي من موارد الطاقة في العالم-حيث بات واضحا ،ان من يسيطر عليهما معا سوف يتحكم والى امد بعيد بأقتصاديات العالم واتجاهاته السياسية وهذا مابدأت تتضح ملامحه بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية[17].

---

[15] انظر د. قحطان الحمداني، مصدر سبق ذكره، ص٤٠؛ وكذلك د. خلدون حسن النقيب، المجتمع والدولة في الخليج. ليج والجيزرة العربية من منظور مختلف، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٨٧، ص١٣٥.

[16] د. حميد شهاب احمد، التنافس الدولي في منطقة الجمهورايت الاسلامية، مصدر سبق ذكره، ص٨-٩.

[17] يمكن ايجاز اهمية المنطقة من خلال ما جاء في بيان وكالة الاستخبارات الامريكية CIAالذي تلى امام لجنة شؤون المخاربات بـ(مجلس الشيوخ الامريكي) عام ٢٠٠١ الذي اشار الى ان منطقة اسيا الوسطى والقوقاز، من اكثر مناطق العالم تعرضاً لاندلاع النزاعات، وانها اصبحت اكثر اهمية بالنسبة للولايات المتحدة، كما ان موقعها الستراتيجي بين تركيا وايران وافغانستان والصين، يجعل استقرارها حساساً بالنسبة لمنطقة اوراسيا وانها ارض خصبة للتطرف الاسلامي وتكوين الشبكات الارهابية التي سيكون لها تأثير على روسيا واوروبا ومناطق اخرى في العالم. انظر بهذا الصدد، د. محمد سعيد ابو عامود، تحولات السياسة الامريكية، مصدر سبق ذكره، ص٧٤.

تأسيساعلى ما تقدم.. فأن الفراغ دائما يستدعي من يشغله،والفراغ الذي خلفه سقوط الأتحاد السوفياتي من جهة،وأهمية المنطقة الجيوستراتيجية والأقتصادية بعد استقلال جمهورياتها الخمسة من جهة اخرى، هي اهم بواعث الأهتمام الدولي في المنطقة مما سيؤدي دون شك الى شد انتباه قوى اقليمية ودولية عديدة في جوارها القريب والبعيد.

وبالمقابل، لم يكن أمام دول آسيا الوسطى،الا الترحيب بالقادمين الجدد،ماداموا سيفكون عنها حبسها المزدوج:السياسي لروسيا، والجغرافي للطبيعة التي حرمتها منفذاً على البحار تطل به على العالم، فهاجس روسيا والأنحباس الجغرافي،يفرضان على الجمهوريات الخمس القبول باللعبة الدولية الكبرى المستمرة منذ عام ١٩٩١، ومع ادراكها خطورة استضافة لعبة الأمم على أراضيها، فأن دول آسيا الوسطى لم يكن امامها خيار اخر مادام ذلك سيوفر لها في اطار المباراة الكبرى المنافذ التي تستطيع من خلالها تصدير ثرواتها للحصول على عوائد تدعم استقلالها وتحافظ على سيادتها امام الاتحاد الروسي[١٨].

لذلك فقد نجحت اسيا الوسطى خلال الأعوام الخمسة عشر الماضية في لفت الانتباه اليها باندفاع قوى اسيوية كبرى أهمها: ايران، تركيا، الصين، والهند، وقوى اخرى دولية في مقدمتها الولايات المتحدة الأمريكية[١٩].

وفي اطار التنافس الدولي على المنطقة ،فمن الطبيعي ان يدفع ذلك باتجاه حالة من توازن القوى، مما أدى بالتالي الى ظهور محاور، فالدول التي تبحث عن اعلى الفوائد وجدت ان عليها التنسيق مع فاعلين اخرين، وهو مانشأت بسببه تحالفات وتحالفات مضادة أبرزها المحور الروسي-الصيني متمثلا بـ(منظمة شنغهاي للتعاون) والذي تنسق معه ايران بأنتظام-مقابل محور اخر امريكي ينسق مع دول الأتحاد الأوربي وحلف الناتو بما فيهم تركيا وكذلك اسرائيل. وهذا لاينفي بطبيعة الحال تنافساً اخر مركباً داخل (المباراة الكبرى) على المنطقة، اذ تتنافس فيها ذات الدول التي تتعاون في اطار هذه التحالفات او المحاور مثل روسيا والصين، وتتعاون في ظلها الدول نفسها التي تتنافس ضد بعضها، كما هوالحال بالنسبة لتركيا وايران..وهي تقلبات تحتمها المصالح وتفرضها تقديرات اللاعبين للأستراتيجية المثلى لنجاح محاولاتهم للنفوذ أو السيطرة على المنطقة[٢٠].

---

18 د. ابراهيم عرفات، اسيا الوسطى والتنافس الدولي، مصدر سبق ذكره، ص١٢٥.
19 نفس المصدر ، ص١٢٤.
20 نفس المصدر، ص١٢٤.

واذا ما تناولنا صور واشكال التنافس على النفوذ في جمهوريات اسيا الوسطى الأسلامية من جوارها القريب-باستثناء روسيا-فأن التنافس الإيراني-التركي برأينا يأتي في المقام الأول.

المبحث الثاني/واقع التنافس الأقليمي والدولي في المنطقة

تشكل الميزة الجيوستراتيجية والاهمية الاقتصادية لمنطقة آسيا الوسطى الدافع الأساسي في تنافس القوى الأقليمية والدولية،للتحكم في نمط علاقاتها الدولية-.. ثم التحرك باتجاه استغلال مواردها الاقتصادية (الكامنة في أراضيها) اذ شمل هذا التنافس قوى عالمية (روسيا، الولايات المتحدة، الصين) وأطراف اقليمية يأتي في مقدمتها كل من (ايران،تركيا،اسرائيل،الهند،باكستان).

ففي ظل الحقبة القيصرية وكذلك الحقبة السوفياتية، لم تكن هذه المنطقة محل تنافس دولي كونها جزء من الأمبراطورية الروسية ثم الدولة السوفياتية، غير ان انهيار وتفكك الاتحاد السوفياتي قد ترك فراغا ستراتيجيا-كلياً أو جزئياً-في تلك المنطقة مما قاد الى نشوء هذا التنافس ناهيك عن ان جمهورياتها الفتية لم تكن تمتلك بنى تحتية وهياكل وخبرات تمكنها من النهوض بدور-الدولة الحديثة- بمعنى انها لم تكن تنتظر يوما ما انهيار الاتحاد السوفياتي.. فمن الطبيعي أن يكون هذا الفراغ-وكما أشرنا-عنصر جذب لهذه القوى للاستفادة من المزايا الأستراتيجية والأقتصادية وتوظيفها لصالحها.

من هنا تظهر العلاقة بين المنطقة والتنافس حولها في اطار ما يسمى بـ(المباراة الكبرى الجديدة)تمييزا بينها والمباراة الكبرى التي دارت بين كل من بريطانيا وروسيا حول اسيا الوسطى في القرن التاسع عشر[21].

لكن مايتعين الاشارة اليه، هو ان اسيا الوسطى في المباراة الكبرى الجديدة لم تكن مجرد ساحة تنافس، بل طرفا فاعلا ومؤثرا فيها، بدليل انها شجعت أطراف بعينها في دخول حلبة التنافس،واعترضت على أطراف اخرى،بمعنى ان دول اسيا الوسطى لم تكن مجرد متلقي للتيارات والقوى المتصارعة بل شكلت بذاتها تيارا في المباراة الكبرى الجديدة[22].

فمنذ البداية حددت جمهوريات اسيا الوسطى اولويات ومعالم سياستها الخارجية وشجعت القوى الأقليمية على التعاطي معها انطلاقا من هذه الأولويات.اذ تنطوي سياستها الخارجية على تحقيق

---

[21] حول اصطلاح اللعبة الكبرى، او ما يسمى بـ(المباريات العالمية الكبرى) التي دات في الماضي بين قوى دولية واقليمية، و(اللعبة الكبرى الجديدة)، وقواعدها واطرافها، راجع د. حميد السعدون، روسيا ومتيغرات فضائها الاسيوي، سلسلة دراسات استراتيجية، مركز الدراسات الدولية، جامعة بغداد، بغداد، ٢٠٠٥، ص ص ٣٧-٤٠؛ وكذلك د. محمد السيد سليم، التحولات العالمية والتنافس الدولي على اسيا الوسطى، مصدر سبق ذكره، ص٣١٣، ص٣١٨.

[22] د. ابراهيم عرفات، اسيا الوسطى والتنافس الدولي، مصدر سبق ذكره، ص١٢٦.

حزمة من الأهداف والمصالح من بينها: السعي الى تحقيق التنمية الأقتصادية وتأسيس بنى تحتية لدولها الفتية المستقلة حديثا. كما انها حددت دوائر سياستها الخارجية وهي: دائرة كومنولث الدول المستقلة، وأقليم اسيا والمحيط الهادي، واوربا والولايات المتحدة الأمريكية.. وهي الدوائر التي حددها ((نزار بابيف)) رئيس جمهورية كازاخستان وعبر عنها الآخرون بأشكال مختلفة ومتفاوتة، كما سعت دول آسيا الوسطى الى تنمية علاقاتها الأقتصادية الخارجية فعلى سبيل المثال، وقعت كازاخستان اتفاقيات تعاون اقتصادي واستغلال الموارد مع كل من: الصين، ايران، تركيا، استراليا، وكندا[٢٣].

فمن هي الأطراف المتنافسة على آسيا الوسطى في اطار اللعبة الكبرى الجديدة؟ وماهي طبيعة هذا التنافس الأقليمي والدولي؟

يغدو بالامكان القول.. ان التنافس يدور في حلقتين بين مجموعة من الدول المتاخمة جغرافيا لآسيا الوسطى اضافة الى اذربيجان القوقازية، واخرى عالمية واقليمية في الحلقات الأبعد. اذ يمكن تصنيفها على النحو الآتي:

اولا: دول الحلقة الأولى وهي: روسيا، ايران، تركيا، الصين.

ثانيا: دول الحلقة الثانية وهي الدول الأبعد جغرافيا: الولايات المتحدة، الهند، باكستان، اسرائيل[٢٤]، وقد تعد الاولى في الحلقة الاقرب في ظل الانتشار العسكري الامريكي، فضلاً عن بعض الدول العربية(السعودية ومصر)، الأتحاد الاوربي ولاسيما فرنسا، بريطانيا، والمانيا والولايات المتحدة على سبيل المثال لم تضع المنطقة في دائرة اهتماماتها خلال فترة الحرب الباردة مع الأتحاد السوفياتي السابق الا بما يحقق تجريدهامن السلاح النووي، وقد استمر اهتمامها بذات الأتجاه بعد استقلالها عن الأتحاد السوفياتي لسنوات عديدة وكذلك ضمان عدم عودتها الى دائرة الهيمنة الراوسية كما كان في السابق، غير انها لم تسع الى اخراج روسيا من آسيا الوسطى، ادراكا منها لأهمية هذه المنطقة لروسيا وحتى لاتدفعها دفعا لذلك.

فالصراع اذا يعني ثلاثيا بالمقام الأول على منطقة اسيا الوسطى بين كل من روسيا، ايران، تركيا بالنظر لمزاياها الجيوستراتيجية ولأنها تتاخم روسيا وكانت جزءا منها في ظل الدولة القيصرية ثم هيمنة الدولة السوفياتية طوال ١٥٠ عاما.. وايران التي تتاخم اسيا الوسطى واذربيجان ولها روابط قوية مع طاجكستان_وروابط دينية ولغوية(فارسية) وحتى مذهبية بوجود الشيعة مع كل من

[23] انظر في هذا الصدد، نفس المصدر، ص ص ١٢٤-١٢٧.
[24] د. محمد السيد سليم، مصدر سبق ذكره، ص٣١٨.

اذربيجان وطاجكستان.. اما تركيا فأنها تبحث عن دور اقليمي محوري لها في اسيا الوسطى عبر احياء (الفكرة الطورانية) ومشاعر التضامن وروابط الدين والثقافة مع شعوب هذه المنطقة ذات الأصول التركية،اذ ان اربعة من هذه الجمهوريات-عدا طاجكستان-تتكلم اللغة التركية والأذربيجانية القريبة منها، مما يؤهلها للحصول على قدر من النفوذ في المنطقة[٢٥]. ناهيك عن المصالح الاقتصادية التي يقتضي من تركيا النظر اليها في اطار اهتمامها بالمنطقة.

المبحث الثالث/التنافس الايراني- التركي في المنطقة (الدوافع والمحددات)

بعد ان استعرضنا أهمية منطقة آسيا الوسطى الإسلامية-من الناحية الجيوستراتيجية والاقتصادية، وخلصنا الى اسباب ودوافع ومحددات الادوار التي تتطلع اليها اهم القوى الاقليمية والدولية في هذه المنطقة، وصور واشكال التنافس القائم فيما بينها على النفوذ فيها-سوف نتناول في هذا المبحث/التنافس القائم ما بين كل من ايران وتركيا في منطقة اسيا الوسطى وطبيعة الدور الذي تتطلع اليه كل منهما ودوافع ومحددات هذا الدور وكما في الآتي:

١.دوافع ومحددات الدور الإيراني في المنطقة:

ان ادراك ايران لأثر الجغرافية السياسية في قرارها الخارجي، يأتي من انها تراقب تطورات الاوضاع في شمالها وشرقها وغربها على مدار عقد التسعينات من القرن الماضي فبعد تحسن علاقاتها مع الجار العربي جنوبا منذ عام ١٩٩٧،فأنها تواجه على حدودها غير العربية مجموعة من الفرص والتحديات التي تحتاج الى تحرك سريع للتعاطي معها... ولاسيما الشمال حيث فرصة تدعيم علاقاتها مع آسيا الوسطى الأسلامية-التي لامعبر لها الى المياه الدافئة،الا من خلال ايران الى محور مركزي للطاقة في العالم اذ تصبح حلقة الوصل بين نفط الخليج ونفط قزوين والأهم من ذلك- فأن نفوذ ايران في هذه الجمهوريات الفتية يأتي من ضرورة قطع الطريق على اسرائيل من التوغل في تلك الجمهوريات وبالتالي تهديد ايران من الشمال بعد ان شكلت الأخيرة تهديدا لهامن الغرب[٢٦].

ومن جانب اخر ترى ايران بأنها القوة الطبيعية المرشحة للعب دور قيادي في المنطقة، فهي تجاور تركمانستان وتتاخم بحر قزوين ومنطقة القوقاز، وهي منفذها البري الوحيد الى الخليج العربي كما اشرنا سابقا.من هنا يأتي الإدراك الإيراني لأهمية المنطقة.

---

[25] انظر، طالب حسين حافظ، التنافس الدولي في منطقة الجمهوريات، مصدر سبق ذكره، ص٦٨.

[26] د. نيفين عبد المنعم مسعد، صنع القرار في ايران والعلاقات العربية-الايرانية، مركز دراسات اوحدة العربية، بيروت، ط١، ٢٠٠١، ص١٧.

ولتعميق دورها في آسيا الوسطى لمواجهة الدور التركي، حرصت ايران على صياغة منهج براغماتي تدريجي لا يركز على التغيير الثوري الأيراني، بل تقديم نموذج ايراني-اسلامي يتسم بالطبيعة العملية والسلمية،ويعود ذلك للتباين المذهبي من ناحية،ولادراكها بأن النخب الحاكمة في آسيا الوسطى قد تشربت بالقيم العلمانية مما يجعلها أميل الى عدم تقبل النموذج الإيراني[٢٧].

وقد نجحت ايران في سعيها لإقناع دول آسيا الوسطى بأنها لاتشكل تهديدا لنظمها السياسية،اذ ساعد ذلك على طمأنة بعض النخب السياسية مما حدا بها الى قبول التعاون مع ايران،كما حدث مع تركمانستان واوزبكستان وكازخستان،حيث عبر قادتها على ان ايران لا تشكل تهديد واعلنوا عن رغبتهم بالتعاون معها[٢٨] وفي اطار التحرك الإيراني حيال الجمهوريات الأسلامية ولاسيما تركمانستان وطاجكستان واوزبكستان التي تربطها واياها روابط ثقافية عريقة وجوار جغرافي بحدود طويلة مشتركة، ناهيك عن وجود اقليات ايرانية فيها.

وتأتي جمهورية تركمانستان في مقدمة الطموحات الأقليمية الإيرانية اذ افتتحت فيها اول سفارة في اسيا الوسطى في شباط ١٩٩٢ ويعود هذا الاهتمام لعدة عوامل اهمها الحدود المشتركة التي تبلغ ١١٠٠ كم ووجود نحو (٢)مليون من التركمان في ايران اي ما يعادل نصف سكان تركمانستان[٢٩] والى الشرق من تركمانستان انتعشت العلاقات الإيرانية مع اوزبكستان بعد انهيار الاتحاد السوفياتي مباشرة وساعد على ذلك المكانة المتميزة التي تحظى بها الثقافة الفارسية في تلك الجمهورية حيث تقع مدينتا (بخارى وسمرقند) أهم مدن الثقافة الفارسية في اسيا الوسطى[٣٠] كما احتلت جمهورية طاجكستان اهمية خاصة في اطار الطموحات الإيرانية تجاه اسيا الوسطى وذلك لعدة اعتبارات منها[٣١]:

أ. الروابط الإيرانية القوية وانتشار الإسلام بلا منازع

ب. تخوف الطاجيك ذوي الأصول الإيرانية من سيطرة الأغلبية ذات الأصول التركية

لذلك تسعى ايران الى اقامة روابط اقتصادية مشتركة مع اسيا الوسطى عبر اقامة شبكات السكك الحديد لربط جمهوريات اسيا الوسطى بمدينة مشهد الإيرانية، اذ يعد هذا المشروع احياءا بـ(طريق الحرير) المعروف تأريخيا،الى جانب ذلك تطمح ايران الى استغلال موقعها الجغرافي للاستفادة

27 د. محمد السيد سليم، مصدر سبق ذكره، ص٣٣٨.
28 نفس المصدر، ص٣٣٨.
29 طالب حسين حافظ، مصدر سبق ذكره، ص٧٥.
30 نفس المصدر، ص٧٥.
31 نفس المصدر، ص ٧٦.

من مشاريع خطوط انابيب تصدير الطاقة التي تعمل على نقل النفط والغاز من تركمانستان عبر اراضيها تجاه المضايق التركية اونحوالسواحل الإيرانية على الخليج العربي[٣٢].

من جهة اخرى تسعى ايران الى تشجيع عملية احياء التراث الثقافي المشترك مع اسيا الوسطى،وذلك عندما أنشأت في شباط عام١٩٩٢((منظمة اللغة الفارسية)) التي تضم-بالأضافة الى ايران كل من طاجكستان افغانستان[٣٣]، حيث ساعدت هذه الراوبط العريقة في تخطي المثقفين الطاجيك الحواجز التي اقامتها روسيا امامها عن التاريخ والثقافة الأيرانيين[٣٤].

كما قدمت مساعدات من اجل تطوير العنصر الفارسي في ثقافات دول آسيا الوسطى الناطقة بالتركي،بتدريس اللغة الفارسية في المدارس والجامعات، ودراسة الحقبة الفارسية في تاريخ هذه الدول.. فضلا عن انشاء مركز بحثي في اطار معهد الدراسات السياسية والدولية التابع للخارجية الإيرانية يهتم بدراسة اسيا الوسطى والقوقاز[٣٥] ودعت ايران كذلك الى دعم التيار الداعي لاستخدام الحرف العربي بدلا عن الحرف السلافي الروسي في جمهورية طاجكستان[٣٦] على العكس من تركيا التي غادرت الحرف العربي واقتدت بالحرف اللاتيني منذ بداية سعيها للتحديث والانضمام الى الاتحاد الاوربي.

بالاضافة الى الاهداف الاقتصادية والثقافية،فأن لايران اهداف (امنية-سياسية) في اسيا الوسطى،لأن ايران كما هو معروف،تعاني من وهن في ادامة صلاتها مع دول الجوار الجغرافي، ذ تنوء تحت ضغط مشاكل ملحة في محيطها الاقليمي،وكذلك مع القوة الاعظم (الولايات المتحدة) مما ادى الى شبه عزلة اقليمية لسنوات طويلة تم اقصاؤها عن لعب اي دور امني في الخليج العربي،ومن هنا فهي تنظر الى جارتها الشمالية الجديدة على انها مجال تعوض فيه الاحباط الذي منيت به في الخليج العربي[٣٧].

لذلك فأن ايران لايمكن ان تترك الاقليم المحاذي لها دون أن يكون لها دور ملموس فيه، فالجمهوريات الإسلامية وهي تسيراولى خطواتهاكدول مستقلة فأنها بحاجة الى دعم القوى المحيطة واحتياجها لإيران يأتي من ثقلها السياسي في العالم الاسلامي وجوارها الأقليمي،ولموازنة قوى اقليمية منافسةاخرى..اذ سارعت ايران الى الاعتراف وتبادل التمثيل الدبلوماسي الكامل مع الجمهوريات

---

32 د. محمد السيد سليم، مصدر سبق ذكره، ص٢٣٩.
33 نفس المصدر، ص٢٣٩.
34 نقلاً عن، طالب حسين حافظ، مصدر سبق ذكره، ٧٦.
35 د. محمد السيد سليم، مصدر سبق ذكره، ص٢٣٩.
36 ناهض الجبوري، التنافس الترك الايراني، مصدر سبق ذكره، ص١٠.
37 طالب سحين حافظ، مصدر سبق ذكره، ص٨٠.

الاسلامية،كما قامت بأنشاء (منظمة بحر قزوين) كأطار للتعاون مع اذربيجان وكازخستان و تركمانستان،فضلا عن روسيا[38] هذا من الناحية السياسية،اما من الناحية الأمنية-فأن هذه الجمهوريات تزخر بما يمكن ان تفيد منه ايران في احتياجاتها العسكرية،اذ ان تفكك الاتحاد السوفياتي،جعل بعضا منها ولا سيما كازخستان-ترث العديد من مفاصل التقنية العسكرية المتقدمة-فهي تحوز على جزء من الترسانة النووية السوفياتية الهائلة،كما تحوي الجمهوريات الأخرى مصادر وخبرات نادرة في صناعة الألكترونيات وهندسة الطاقة النووية وصناعة الصواريخ ..اذ استطاعت ايران من الحصول على الكثير من المعدات والأسلحة المتقدمة مستثمرة حالة الفوضى والحاجة الى العملات الصعبة،فضلاً عن توظيف الكثيرمن علماء الذرة بعد ان قدمت لهم مرتبات عالية ومغريات واسعة[39].

وفي سعيها الى تحجيم نفوذ القوى الدولية والاقليمية في آسيا الوسطى،فأن ايران قد اظهرت حرصا عاليا في هذا الاتجاه بالرغم من عدم قدرتها على استبعاد دور هذه القوى في الأقليم ولعل اكثر ماتعنى به ايران قبل سواها، هو المنافسة الاقليمية مع تركيا، اضافة الى روسيا الاتحادية،فضلا عن قوى دولية واقليمية في مقدمتها-الولايات المتحدة-اسرائيل، ثم الصين، باكستان، السعودية والى حد ما مصر، وكلها تسعى وبدوافع شتى تحتمها طبيعة المصالح وتفرضها تقديرات اللاعبين للأستراتيجية المثلى في نجاح محاولاتهم للسيطرة على المنطقة، وبالتالي اضعاف نفوذ ايران فيها مما يقلل من فرص نجاح السياسة الايرانية ورسوخ مصالحها في اسيا الوسطى.. اذ يمكن ايجاز محددات الدور الايراني فيها بالآتي:

١. ان معظم الدول المنافسة لايران في منطقة اسيا الوسطى تعارض الدور الإيراني فيها وتسعى الى تحجيمه[40].

٢. ان سعي الولايات المتحدة الأمريكية-الى تحجيم دور ايران واحتوائها بالشكل الذي يمنعها من تحقيق مزايا جيوستراتيجية واقتصادية في اسيا الوسطى، هو جزء من العزل السياسي الذي ترعاه الولايات المتحدة ضد ايران.. من ناحية، ولكي تمنعها من عقد صفقات نووية اوبيعها مواد نووية من قبل اسيا الوسطى ولا سيما كازخستان،من ناحية اخرى[41].

---

38 نقلاً عن نفس المصدر، ص ص ٨٠-٨١.
39 نفس المصدر، ص٨١.
40 نفس المصدر، ص٨٢.
41 نقلاً عن د. حمسد شهاب احمد، التنافس الاقليمي والدولي، مصدر سبق ذكره، ص١٤.

٣. الدعم الذي تحظى به تركيا ((المنافس القوي لايران)) من قبل الغرب-ولا سيما الولايات المتحدة، والذي ينطوي على تفضيل النظام السياسي العلماني في تركيا على النظام الاسلامي الرديكالي، لاضعاف الدور الايراني ولتحقيق قدر من التوازن الاقليمي في منطقة اسيا الوسطى مما يؤثر على فاعلية التحرك الايراني حيال المنطقة.

٤. المخاوف التي تبديها بعض دول اسيا الوسطى من عدم الاستقرار الداخلي،الذي قد تغذيه ايران،وبالتالي صعوبة تسليم السيادة الاقليمية لدولة غالبية سكانها من الشيعة ومذهبها الرسمي التشيع وسط اقليم يمثل فيه الشيعة اقلية[٤٢].

٥. حالة السيولة التي طبعت العلاقات الدولية-ما بعد الحرب الباردة-والتحالفات والتحالفات المضادة التي ظهرت في اطار التنافس الدولي والاقليمي على منطقة اسيا الوسطى-كالمحور الامريكي الذي ينسق مع الاتحاد الاوربي والناتو بما فيه تركيا،فضلا عن اسرائيل مقابل محور روسي-صيني يتمثل بـ ((منظمة شنغهاي للتعاون)) والذي تنسق معه-ايران-بأنتظام[٤٣] ويتضح ذلك بالنسبة لباكستان ايضا،بعد التقارب الايراني-الهندي في نهايات العقد الاخير من القرن الماضي،حيث مالت ايران الى الموقف الهندي في قضية(كشمير)الامر الذي ادى الى دعم الهند للدور الايراني في اسيا الوسطى لتحجيم الدورالباكستاني فيها،بينما تهدف روسيا الى الحد من النفوذ التركي المتزايد في اسيا الوسطى[٤٤].

٢.دوافع ومحددات الدور التركي في المنطقة:

يأتي اهتمام تركيا بـ(جمهوريات اسيا الوسطى الاسلامية)، من كونها عاشت طيلة الفترة الواقعة ما بين القرن الخامس عشر والسادس عشر تحت هيمنة الدولة العثمانية شبه المطلقة، مماترك اثرا لا زالت تداعياته قائمة حتى الوقت الحاضر[٤٥] فضلاً عن ظهور عوامل ومتغيرات اقليمية ودولية جديدة ادت بالتالي الى اهتمام تركيا الحديثة المتزايد بالمنطقة،لاسيما بعد حصول جمهورياتها على استقلالها في اعقاب انهيار وتفكك الاتحاد السوفياتي عام ١٩٩١.

وان نهاية الحرب الباردة، قد تركت اثرا عميقا في توجهات السياسة الخارجية بفقدانها الموقع المتقدم في استراتيجية الحلف الاطلسي، بالرغم من ارتباطها القوي بهذا الحلف منذ خمسينيات القرن

---

42 انظر بهذا الصدد، طالب حسين، مصدر سبق ذكره، ص٨١، ص ٨٢.
43 د. ابراهيم عرفات، اسيا الوسطى.. التنافس الدولي، مصدر سبق ذكره، ص١٢٤.
44 د. حميد شهاب احمد، التنافس الاقليمي والدولي، مصدر سبق ذكره، ص١٤.
45 انظر د. احمد نوري النعيمي، الصراع الدولي على الجمهورايت الاسلامية (الانموذج التركي)، مصدر سبق ذكره، ص١.

الماضي-فضلا عن-فشل مساعيها الدائمة من الانضمام الى المجموعة الاوربية مما دفع تركيا باتجاه البحث عن دور محوري في محيطها الاقليمي بما فيه منطقة اسيا الوسطى والقوقاز، وذلك عبر احياء (الفكرة الطورانية) ومشاعر التضامن العرقي بين الشعوب ذات الاصول التركية اذ اتاح انهيار المعسكر الشرقي لتركيا اعادة هذه الفكرة بظهور اصطلاح (العالم التركي)الذي يمتد جغرافيا من البلقان غربا الى حدود الصين شرقا، ويضم نحو (١٥٠ مليون نسمة)، وهو بذلك يمثل مجالا جيوستراتيجيا ذا اهمية عالمية متزايدة[٤٦] وينقسم العالم التركي ديموغرافيا وعلى وفق الفكرة الطورانية الى ثلاث مجموعات رئيسة،يشكل جزء منها السكان الاصليين لآسيا الوسطى عبر جمهوريات اوزبكستان، تركمانستان، كازاخستان، وقرقيزيا[٤٧].

وان هذه الجمهوريات تتكلم اللغة التركية والأذربيجانية القريبة من التركية،كما ان تركيا ترتبط براوبط الدين والثقافة مع الجمهوريات الاسلامية اذ يشكل المسلمون ٨٥% من مجموع الشعوب التركستانية التي تضم معظم سكان اوزبكستان وكازخستان وقرقيزيا، وجميعهم يدينون بالمذهب السني الحنفي الذي تدين به تركيا، وهم اقرب ثقافيا وحضاريا اليها[٤٨].

لذلك كانت تركيا من اوائل الدول في تقديم المساعدات لجمهوريات اسيا الوسطى عندما كانت في ظل هيمنة الاتحاد السوفياتي من اجل حصولها على الاستقلال، فضلا عن انها اول دولة في الامم المتحدة تعلن تأييدها لاستقلال هذه الجمهوريات، اذ كان لموقف تركيا اضافة الى تأثير المجموعة الاسلامية في المنظمة الدولية،الاثر الكبير في اعتراف المجتمع الدولي بهذه الجمهوريات[٤٩] وتأتي اهمية استقلال هذه الجمهوريات لتركيا-من خلال تصريح رئيس الوزراء التركي الأسبق (ديميرل) عام ١٩٩٠ بالقول ((ان استقلال الجمهوريات الاسلامية بعد (٧٠) سبعين عاماً عام من الحكم الشيوعي ما هو الا حكم تركي تحقق اخيرا))[٥٠] على اساس ان الاتراك يؤمنون بان لهم تاريخا مشتركا وروابط تاريخية وعرقية عميقة بهذه الجمهوريات،اذ يعد المسؤولون الاتراك ان تركيا بمثابة الاخ الاكبر لهذه الجمهوريات[٥١].

---

46 انظر، طالب حسين حافظ، مصدر سبق ذكره، ص٦٨.
47 نقلاً عن نفس المصدر، ص ص ٦٨-٦٩.
48 د. حميد شهاب احمد، التنافس الاقليمي والدولي في الجمهورايت الاسلامية، مصدر سبق ذكره، ص٩.
49 د. احمد نوري النعيمي، مصدر سبق ذكره، ص١.
50 د. خليل ابراهيم احمد، صراع النفوذ التركي-الايراني ف جمهورايت قفقاسيا واسيا الوسطى الاسلامية، اسيا الوطى وقفقاسيا، الجذور التاريخية والعلاقات الاقليمية، نقلاً عن د. حميد شهاب احمد، مصدر سبق ذكره، ص١٠.
51 انظر د. احمد نوري النعيمي، مصدر سبق ذكره، ص١٩.

لذلك اندفعت تركيا نحو منطقة آسيا الوسطى من اجل ارساء نظام اقليمي تكون لتركيا فيه القيادة والسيطرة ودور محوري يعزز من مكانتها الأقليمية.

لكن يبدو ان التطلعات التركية تجاه منطقة اسيا الوسطى واتساما مع هذا الواقع،قد بنيت على اساس العنصر التركي فقط-اذ تعد فاعلية هذا العامل ضعيفة،وقد يحفز مطالب الاقليات داخل تركيا-لذلك تركز الاوساط السياسية والثقافية في تركيا على عامل القرابة اللغوية بين هذه الشعوب وتبذل جهودا كبيرة لفتح مجالات الاتصال والتعاون الثقافي مع المنطقة[52] لأن الاستقطاب الثقافي واللغوي الذي تتمتع به تركيا قوي جدا منذ زمن بعيد ولانها البلد الوحيد الذي يحمل اسم القومية التركية.

وتسعى تركيا من جانب اخر الى الظهور امام حكومات هذه الجمهوريات وشعوبها بمظهر (النموذج للديمقراطية البرلمانية) القائمة على العلمانية والتعددية السياسية والعرقية من خلال نظام سياسي يفصل الدين عن السياسة،مقارنة بدول الجوار الاخرى ولا سيما النموذج الايراني الذي يعكس نموذج الاسلام الثوري والذي يمزج الدين بالسياسة[53].

وعلى وفق هذا الاتجاه،تحظى تركيا بدعم الغرب-لا سيما الولايات المتحدة-وارتباطها القوي بالحلف الاطلسي منذ السنوات الاولى لتأسيسه، فضلا عن اعتمادها المبكر للعلمانية[54] والسعي بثبات الى الارتباط بالغرب بكل ما ينطوي عليه هذا الارتباط من مفاهيم-الديمقراطية والعصرنة واقتصاد السوق[55].

وتجدر الاشارة هنا الى ان تركيا لم تحقق تقاربا مع آسيا الوسطى بسهولة،دون مساندة الدبلوماسية الامريكية، والتي تستهدف بهذا الدعم دفع التحرك التركي باتجاه توظيف الهياكل الاثنية لأضعاف ايران من الداخل بأستخدام الاقلية الاذربيجانية[56] من ناحية وابراز تركيا كقوة اقليمية حليفة تكون بمثابة عامل توازن لايران في المنطقة، وضد اي محاولة تشكل خللا في ميزان القوى الاقليمي[57] من ناحية اخرى.

---

52 طالب حسين حافظ، مصدر سبق ذكره، ٦٩.

53 نفس المصدر، ص٧٠.

54 اعتمدت تركيا الانموذج العلماني الذي يقضي بـ(فصل الدين عن السياسة) وهو الانموذج السياسي الذي سار عليه القادة لاتراك منذ الغاء الخلافة العثمانية عام ١٩٢٤. انظر بهذال الصدد، د. احمد النعيمي، مصدر سبق ذكره، ص٢٦.

55 طالب حسين حافظ، مصدر سبق ذكره، ص٧٠.

56 نفس المصدر، ص ص ٧٠-٧١.

57 د. محمد السيد سليم، التحولات العالمية والتنافس الدولي على اسايا الوسطى، مصدر سبق ذكره، ص٣٣٧.

كما ان الغرب يدرك بأن تركيا قد حققت تقدما صناعيا، وان لها اهتمامات بالدول الاسلامية في آسيا الوسطى وتشجيعها الى مزيد من النشاط في هذه الجمهوريات من اجل تسويق البضائع الغربية والذي بدوره يحقق المصالح الاقتصادية في آسيا الوسطى[58] وربما يغدو بالامكان القول، ان الغرب يستخدم تركيا كمعبر للنفوذ في المنطقة وتحقيق مصالحه الاقتصادية فيها.

وفي الوقت ذاته،فأن دعم الغرب لنفوذ تركيا في هذه الجمهوريات هو من اجل الوقوف امام الحركات الاسلامية المتوقعة فيها والتي تضر بالسياسات والمصالح الغربية .وهذا ما أكده (جيمس بيكر)وزير الخارجية السابق في زيارته للمنطقة عام ١٩٩٠ حين قال: ((تؤكد الولايات المتحدة تقوية الدور التركي في سياسات المنطقة))[59].

وكذلك ماأشار اليه الرئيس الامريكي (جورج بوش الأب) حين قال (بأن تركيا شريك للولايات المتحدة ونموذج للآخرين خصوصا الجمهوريات المستقلة الجديدة في آسيا الوسطى والربط بين صداقة الجمهوريات لتركيا والتعاون معها، مع هذا الدور لتركيا في هذه المنطقة من العالم-فهي التي تمثل الوجه الاسلامي للنفوذ الغربي،فلا بأس بتقليدها وتقوية العلاقات معها خاصة وان هناك شعورا شعبيا بين ابناء هذه الجمهوريات يرى بضرورة المحافظة وتقوية الشعور بالانتماء للإسلام واعتباره ركنا اساسيا في البناء الثقافي والسياسي لهذه الدول))[60].

ومن جانب اخر،فأن اغلب دول المنطقة قد عبرت عن رغبتها بالنموذج والدور التركي في المنطقة-بأشكال وصور مختلفة-نذكر منها تصريح (اسلام كريموف) رئيس جمهورية اوزبكستان حين قال في زيارته العاصمة التركية عام ١٩٩٢ ((انني اعلن امام العالم بأسره ان بلادي سوف تسير قدما على النهج التركي وقد اخترناه ولن نعود للوراء)) أما (نزاربابيف) فقد اشار الى ((اننا نريد اقامة السوق الحره والنموذج التركي-وهو الوحيد امامنا)) اما (حسن حسانوف)رئيس وزراء اذربيجان فقد صرح قائلا ((اننا نريد ان تمثلنا تركيا امام العالم الخارجي))[61].

لذلك فأن أهم الاهداف التي تتحكم في السياسة التركية حيال المنطقة،كانت ذات طبيعة-سياسية وثقافية واقتصادية ،تأمل تركيا من خلالها تحقيق عالم تركي جديد لدولة اقليمية محورية تهيمن بشكل او بآخر على مقدرات الشعوب التركية من كازخستان شرقا الى البحر الاسود والادرياتيك

---

58 د. احمد نوري النعيمي، مصدر سبق ذكره، ص٢٤.
59 نفس المصدر، ص٢٤.
60 سعد عد المجيد، اهداف ومرتكزات الاستراتيجية التركية في القوقاز، مجلة السياسة الدولية، العدد١٣٨، اكتوبر ١٩٩٩، ص١٦١.
61 احمد نوري النعيمي، مصدر سبق ذكره، ص٢٦.

غربا ،وترى تركيا ان الظروف الدولية والاقليمية سانحة لها لان تلعب ذلك الدور القيادي في منطقة آسيا الوسطى[٦٢].

وقد جاءت هذه السياسة، اتساقا مع الدعوات التي فتح بها عهد الرئيس-التركي (توركت اوزال) واحاديثه عن (تركيا الكبرى)الى بعث الحركة الطورانية التي تؤمن بالوحدةلكافة الشعوب الناطقة باللغة التركية.. وانطلاقا من هذه الدعوات ،اولت الحكومة التركية اهتماما خاصا بدعم العلاقات الثقافية مع الجمهوريات الاسلامية الجديدة، اذ يلعب مركز ابحاث اتاتورك والجمعية التأريخية التركية ومراكز الدراسات الدولية دورا مهما في بعث الحركة القومية التركية وتوجهات السياسة الخارجية الجديدة حيال آسيا الوسطى[٦٣] تلك هي الدوافع التي طبعت التحرك التركي حيال منطقة اسيا الوسطى في المجالات السياسية والثقافية والاقتصادية ،لكن هناك ثمة محددات تعيق الدور التركي في المنطقة من بين اهمها الآتي:

١. المنافسة الحادة على التأثير والنفوذ في الجمهوريات الاسلامية المستقلة بين النموذج التركي العلماني والنموذج الايراني الاسلامي.
٢. المعارضة الروسية القوية للتحرك التركي اذ ان روسيا لا تزال تعد هذه الجمهوريات ضمن نطاقها الحيوي المتاخم لحدودها الجنوبية، الامر الذي دعى روسيا للتنسيق مع قوى اقليمية اخرى سواء كان ذلك من خلال المحور الروسي-الصيني او منظمة شنغهاي للتعاون والذي تنسق معه ايران بأنتظام -فضلا عن قوى اقليمية متحدة اخرى من منطقة اسيا الوسطى ذاتها..مقابل محور اخر ترعاه الولايات المتحدة مع قوى اقليمية ودولية اخرى من بينها تركيا ،مما يعيق سهولة التحرك التركي بشكل او بآخر حيال الجمهوريات الاسلامية المستقلة[٦٤].
٣. اثرت مشكلات تركيا الاقتصادية في الحد-نسبيا-من قدرتها على تقديم المعونات المالية لتلك الجمهوريات، مما يؤدي بالتالي الى ضعف نفوذها فيها-اذا ماعلمنا بأن وسيلة المساعدات المالية والاقتصادية واحدة من بين اهم وسائل تنفيذ السياسة الخارجية وفاعليتها.
٤. قوة العلاقات الاقتصادية للجمهوريات الاسلامية مع روسيا ،وارتباط ذلك بنظم النقل والمواصلات وافتقادها منافذ بحرية مع تركيا، واعتماد صناعتها على علاقاتها مع روسيا[٦٥].

---

62 محمود علي الدواد، اهداف السياسة الخارجية التركية في اسيا الوسطى، مجلة دراسات سياسية، بيت الحكمة، العدد١٠، بغداد خريف ٢٠٠٢، ص٩.
63 انظر طالب حسين حافظ، مصدر سبق ذكره، ص٧٢.
64 انظر د. ابراهيم عرفات، اسيا الوسطى.. التنافس الدولي في منطقة مغلقة، مصدر سبق ذكره، س١٢٤.
65 طالب حسين حافظ، مصدر سبق ذكره، ص٧٣.

٥. العامل الجغرافي ،الذي يقيد -الى حد ما-الدور التركي في اسيا الوسطى، مقارنة بإيران التي تتاخم حدودها عدد من الجمهوريات الاسلامية-في حين ان تركيا لا تجاور اي دولة من دول اسيا الوسطى، وليست لديها اي اطلالة على بحر قزوين الذي تشاطئه ايران مع بقية دول الاقليم[٦٦].

٦. ان دول اسيا الوسطى تنظر الى النفوذ التركي، بوصفه واجهة للولايات المتحدة ،كما انها لاترغب ان تلعب دور (الاخ الصغير) في علاقاتها مع تركيا[٦٧].

فضلا عن إعتمادها سياسة خارجية مبنية على قبول او رفض الاطراف التي تتعامل معها بحسب ما تمليه عليها مصالحها.

الخاتمة

من خلال ما تقدم، يبدو ان منطقة اسيا الوسطى الاسلامية بـ(جمهورياتها المستقلة) قد شهدت انواعاً شتى من التنافس والصراع من اجل احتوائها او النفوذ فيها، من قبل قوى عالمية واقليمية سواء كان ذلك من جوارها القريب او البعيد.

ومهما كانت بواعث هذا التنافس، فأن الدور التركي في هذه المنطقة يحظى بتأييد الغرب ولا سيما الولايات المتحدة، التي تعمد الى تفضيل النموذج التركي العلماني في التعاطي مع الوضع القائم في جمهورياتها المستقلة حديثا، وتهدف تركيا من جهتها الى لعب دور اقليمي اساسي فيها.. مقابل الطرف الاخر (ايران) التي تسعى الى تثبيت موقع لها في هذه الجمهوريات المتاخمة لحدودها الشمالية، من خلال نفوذها الثقافي والديني او بمقتضى جوارها وقربها الشديد لتلك الجمهوريات.

ويأتي التنافس الايراني-التركي على المنطقة في صورة صراع ثنائي مباشر بين الطرفين ،ويأتي في احيان اخرى في صيغة تحالفات او محاور فرضتها المتغيرات الدولية والاقليمية بدخول فاعلين من قوى عالمية واقليمية عديدة حلبة الصراع على المنطقة في ظل السيولة التي طبعت العلاقات الدولية لفترة ما بعد الحرب الباردة.

غير ان التنافس كان اقليميا بالدرجة الاولى يدور بين مجموعة من الدول المتاخمة جغرافيا لآسيا الوسطى والتي عرفت بـ(دول الحلقة الاولى) وتشمل كل من روسيا،ايران ،تركيا ،الهند، باكستان، اسرائيل.. على الرغم من ان الولايات المتحدة قد أبدت اهتماما كبيرا بـ(جمهوريات اسيا

[66] انظر د. محمد السيد سليم، مصدر سبق ذكره، ص٢٣٦-٢٣٧.
[67] نفس المصدر، ص٢٣٧.

الوسطى) بعد استقلالها، بضمان عدم عودتها الى دائرة الهيمنة الروسية، ومنع ايران من النفوذ فيها.. من خلال السياسة الامريكية الهادفة الى عزل ايران دوليا واقليميا.

ومهما يكن من امر، فأن التنافس كان ثلاثيا بالدرجة الاولى بين روسيا وتركيا وايران على الصعيد الاقليمي وسيستمر كذلك في الامد المنظور وبحسب المتغيرات وحسابات تلك القوى وبما تفرضه معادلة الربح والخسارة.. وقد يأخذهذا التنافس صورا واشكالاً اخرى، كما الحال مع التحالفات والمحاور التي نشأت في السنوات الاخيرة في اطار التنافس والصراع القائم على المنطقة فهناك محور (روسي-صيني) يدور في فلكه عدد من الدول الاقليمية معبرا عنه بـ(منظمة شنغهاي للتعاون) التي تنسق معها ايران بانتظام-في مقابل محور (امريكي-غربي) ينسق مع قوى اقليمية ولا يدخر جهدا في دعم تركيا في اطار تنافسها مع ايران من جهة وروسيا من جهة اخرى للفوز باحتواء المنطقة، وبالتالي ضمان مصالحها الاقتصادية (الاحتياطات الهائلةمن النفط والغاز الطبيعي) والجيوستراتيجية في المدى المنظور.

لكن مايتعين الاشارة اليه ،هو ان اسيا الوسطى في المباراة الكبرى الجديدة لم تكن مجرد ساحة تنافس فحسب، بل كانت طرفا فاعلاً ومؤثرا فيها.. اذ انها شجعت اطراف بعينها لدخول حلبة التنافس، واعترضت على اطراف اخرى-بمعنى-انها لم تكن مجرد متلقي للتيارات والقوى المتصارعة، بل انها شكلت بذاتها تيارا في المباراة الكبرى الجديدة.